(2)

في مسألة القتل

أبناء هتلر .. يقتلون أبناء كلينتون(*)

في 20 أبريل "عيد ميلاد هتلر"، قام مراهقان بزرع القنابل والألغام حول المدرسة التي يتعلمان فيها، كانا مسلحين بالرشاشات وقاما بدم بارد بقتل خمسة عشر طالبًا، ثم انتحرا. كانا منبوذين من الآخرين ـ هكذا قال بعض الطلاب ـ وكانا ضعيفين نفسيًا وجسديًا ـ قال أحدهم وهو يقهقه ويقتل: إنني أفعل كل ذلك لأن الناس يسخرون مني. قال نك زوبانك الطالب بمدرسة كولومبيان العليا بعد المذبحة:

ـ (لقد كانا منبوذين، كان الجميع يضحكون عليهم، كان الكل يمزقهما بالكلام العنيف).

وقبل الخوض في تفاصيل الحادث نشير إلى أن الرئيس الأميركي كلينتون كان قد نبَّه إلى ضرورة أن تلتفت الأسر إلى الأولاد، أن يكلموهم وأن يهتموا بهم، لم يتطرق كلينتون إلى موضوع السلاح الناري أو المتفجرات، كان يعرف أن اللوبي القوي للرشاشات لن يسمح له بأي حوار ـ مجرد حوار عن منع الأسلحة، فالسلاح أصبح

(*) نشرت في مجلة صباح الخير المصرية ـ 1999م.

أمراً عاديًا، بل ضرورياً للبشر في أمريكا من تنبيه كلينتون إلى الأسر. نورد هنا حديثًا لعالم الاجتماع الكندي: مارشال ماكلوهان الذي قال: أن حرب فيتنام خسرها الأمريكان في غرف المعيشة ـ في بيوتهم ـ ولم يخسروها في ساحة الحرب في فيتنام.

هناك ربط، ليس عشوائيًا، وليس مجرد صدفة بين هؤلاء القتلة الصغار وبين (ما كفي) الذي فجر المبنى الحكومي في أوكلاهما كان ضعيف البنية، ضعيف النفس، ولما سعى إلى القتال العنيف وجد نفسه، ولما رفضوا ترقيته في البحرية الأمريكية انكفأ على ذاته ولما حانت له الفرصة حمل المتفجرات وفجر المبنى والناس وقتل حوالي 165 إنسان.

وليس الأمر أيضًا محض صدفة أن تتشابه بعض الصفات في الشخصية والأداء بين هؤلاء القتلة المراهقين وبين الرجل متوسط العمر (توماس هاملتون) الذي نبذه مجتمعها وحاصره ورفضه، فانتقم منه في اعز ما يملك، أولاده، قتل أولاد المدرسة في (دنبلين) في اسكتلندا ثم قتل نفسه. كان ضعيف النفس والجسم، يحاول التعويض عن ذلك بنشاطات اجتماعية ورياضية، ولما ضاقت به السبل تحول إلى المسدس والمدفع يستمد منهم القوة والفحولة ثم ينهي حياته وحياة الصغار.

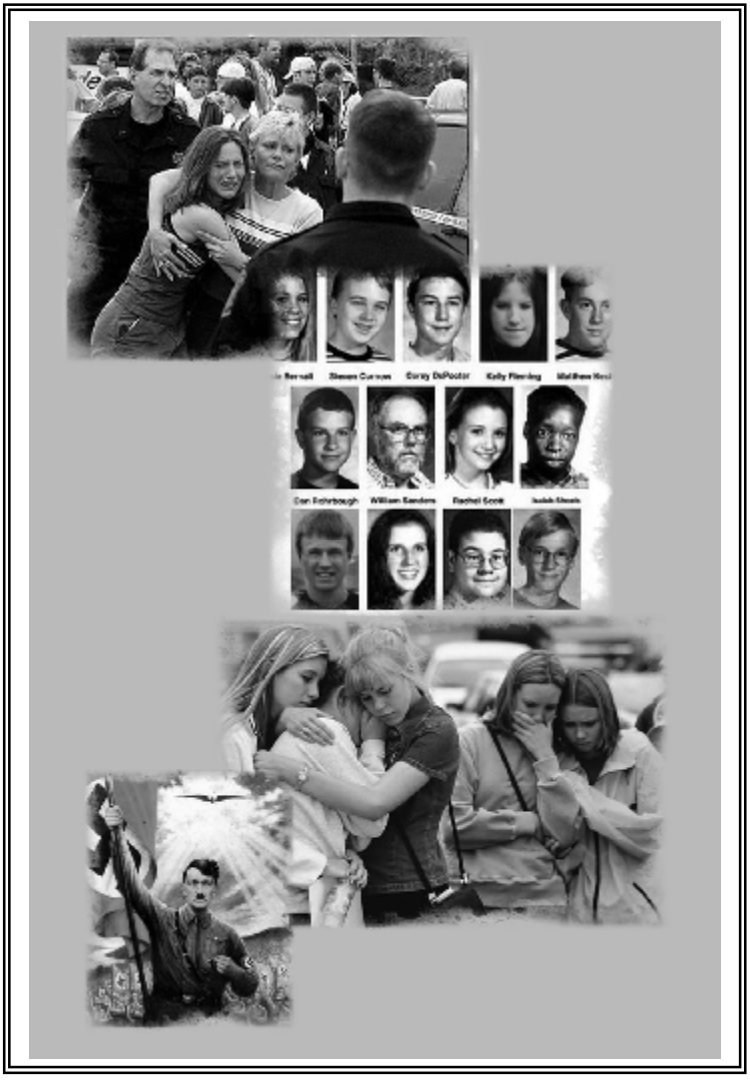

ولكن البريطانيين يميلون إلى تمرير الأمر والقول إلى أن مثل هذا الحدث يحدث فقط في أمريكا، حيث أن رد الفعل الغريزي ـ وربما الطبيعي ـ أن عدد الأسلحة النارية في أمريكا يفوق الحد والوصف والعدّ.

إن القتل الذي تم في(دنبلين) باسكتلندا وكذلك في مدينة (هنجرفورد) يثبت أن تسريب الأسلحة إلى قاعات الدرس ليس مقصوراً على أمريكا، لكنه يحدث في بريطانيا وفي دول أخرى، ربما.

والسؤال الهام والكبير هو: لماذا قام (إريك هاريس) و(دايلون كليبولد) بهذا القتل الجماعي؟! ليس هناك سبب واحد، وليس هناك دافع وحيد. بمعنى أن الحصول على السلاح ليس دافعًا للقتل، أي أن الحصول عليه سهل عملية القتل، لكن للقتل أسباب أخرى مبيتة. اجتماعية في الأساس. الوله بالشواذ والمسخ مثل ذلك المغنى (مارلين مانسون) ا لذي يأخذ اسمه الأول من مارلين مونرو، واسمه الثاني من السفاح (تشارلز مانسون) أن أمريكا ملأ بمراهقين بيض من أبناء الطبقة الوسطى مثل (إريك وديلان)، وهم أغلبهم يغلبهم الإحباط واليأس وفقدان الأمل في مجتمع استهلاكي شره فقد مقومات وجوده، وربما يحمل في أحشائه بذور فنائه. لماذا تعلو الدهشة وجوه الناس، ولماذا تصيبهم الصدمة وهم يعلمون علم اليقين أن هؤلاء المهمشون في مجتمع غني يطفح بالخير والتكنولوجيا يتمنون تشويه هذا المجتمع الذي في نظرهم لا يعدل ولا يتيح الفرص.

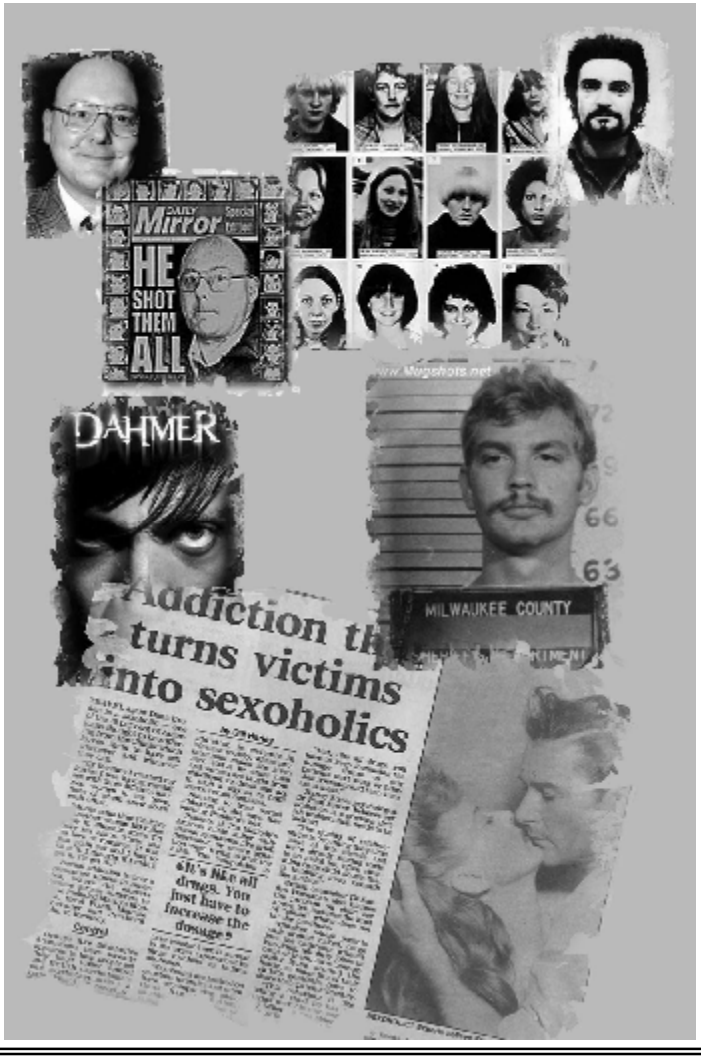
Daily Mirror
HE SHOT THEM ALL
DAHMER
MILWAUKEE COUNTY
turns victims
into sexoholics

في فيلم هوليوودي بحق، إنتاج أمريكي، بطولة البطل المفتول العضلات، البطل المنتقم من الأغنياء المتجبرين والمافيا والعصابات (ميل جيبسون) الذي ينتهي به الفيلم في سيارة مسروقة يقول لصاحبته:

(إذن فليتوقف كلانا عما يفعله، أتوقف أنا عن إطلاق النار على الناس وتتوقفين أنت عن البغاء)؟! وكأنه يختصر حيوات أناس كثيرين، لا يتمكنون من العيش إلا بالقتل وبيع الهوى.

الممثل الفذ (جاك نيكلسون) يقول في حديث نادر للإذاعة تعقيبًا وتفسيرًا لرفضه الظهور في مقابلات تلفزيونية "التلفزيون مصيدة فئران، أرفض الوقوع فيها" أن هذه الآلة المسماة بالتلفزيون سم، غيرت الناس والسينما، أن أفلام الإثارة الحديثة Action تحوي كل ثمان دقائق مشهداً عنيفًا، كالانفجار، أو الدوي، أو زخات الرصاص، وهذا سببه أن الناس تعودوا على عرض الإعلانات كل ثماني دقائق، وخضوعًا لحتمية رأس المال تكون المشاهد التي تشد الناس وتبكيهم. وتنتقل هذه المأساة من الشاشة إلى الواقع، فنرى أفلام وبرامج التلفزيون الأميركية، تؤكد دومًا على النمط المدرسي العالي: طالب نموذجي، مشبع جنسيًا، لائق بدنيًا، بل فتوة مفتول العضلات، وعلى نفس الصعيد نجد أبطال الثقافة الطالبية المدرسية في

أمريكا من نوع آخر، غاضب، يكره السلطة، ويعادي المؤسسة بكل أشكالها: مؤسسة الأسرة، الحكومة، العالم. وهؤلاء القتلة الصغار نموذجًا لهؤلاء الصبية الذين لم يتمكنوا من التعاطي مع الواقع المعاش، الواقع المدرسي، والأسرى، والمتجمع بشكل عام، وهنا فهم يهربون إلى واقع آخر في بطن التاريخ. فيتماهون (يتوحدون) مع هتلر ومن ثم يقتلون السود فقط لأنهم سود، وها هو أحدهم يصيح في بهجة انظروا إلى مخ هذا الولد الأسود أنه قبيح سأفجره الآن. ومن ناحية أخرى توحدوا مع مغن مشوه النفس والشكل والملامح (مارلين مانسون) معاد للسيد المسيح وللدين وللدنيا، عيناه حمراوتان ويضع أثداء صناعية ويمارس الجنس على خشبة المسرح مع مشاهد عار يستفزه بالطلوع إلى موقعه؟! أن واقع هؤلاء الصبية نوع من الثقافة الخاصة الأشبه بالسحر ضد المثل، والبطولة، نوع من الثقافة الخاصة تأخذ الأمور إلى مداها، في أبعاد مرعبة للغاية.

إن صناعة النجم، البطل، المجرم، رجل الأعمال، السياسي في أمريكا تحكي لنا روايات وتقدم لنا صوراً لا تحمل لأبطال عنيفين، وهم يحتفلون بالعنف احتفالاً ودون صخب يقتلون بدم بارد جداً الناس على الشاشة وفي ساحة اللعب وفي فصول الدرس. وتنتبه شعوب أخرى أوروبية أساسًا إلى البعد العنصري في علاقات الناس ببعضها مثلما الحال في فرنسا، ألمانيا، بلجيكا وبريطانيا، حيث يقتل

العرب والسود بدم بارد، تحت ضغوط التوحد مع ثقافة عنصرية عدوانية مجرمة، وهذا يغذي ويتغذى على أحاسيس منتشرة بين شباب هذا الجيل مثل الإحساس بالمرارة، والإحباط والعقم النفسي.

قال مذيع في الـ CNN: اسمعوا (مارلين مانسون) وهو يغني وأنتم تدركون من أين نبع القتل والقتلة الصغار.

(مارلين مانسون) معروف باسم عدو المسيح اسمه الحقيقي براين باركر ولد وترعرع في فلوريدا الساحرة، ودخل مدارس مسيحية وعندما شبّ وكبر أصبح (شيطانيًا) متمردًا على القيم والناس والشكل والتقاليد، غير اسمه إلى (مارلين مانسون) من مارلين مانرو وتشارلز مانسون أهم أيقونات العصر الأمريكي الذي ترعرع فيه الشباب الأمريكي وهما أيضًا طرفي نقيض، شرير سفاح قاتل (مانسون) وعاشقة ممثلة رمز للإغراء انتحرت في عز شبابها (مارلين مونرو)، كوّن هذا الرجل الغريب فرقة موسيقية طفحت بأغان وألحان وصفها أحد النقاد الأمريكان بقوله بـ (الأقذر، الأسوأ، الأبشع تسجيلات جنسية، موجهة للشباب) ويعد الثالث أكثر مبيعًا في قارة أمريكا الشمالية وله رواد وعشاق في مصر وكافة البلاد العربية(...). يلبس الشباب فانلاته ويغنون أغانيه ضد السيد المسيح.

يقال حسب مصادر من طلاب المدرسة المنكوبة أن المراهقين كانا ضمن مجموعة تضم ثمانية إلى عشرة طلاب تسمى نفسها (مافيا المعاطف الواقية من المطر)، وأن هؤلاء الطلاب كانوا مكروهين بشدة من الطلاب الآخرين، كانوا بمثابة الجُفاء والغثاء، وبالتالي لم يسع أي أحد لضمهم إلى أي نشاطات طلابية أو اجتماعية لقد كانا يلعبان لعبة الحرب، الكر والفر، الضرب والقتل، لقد وجدوا الرب في ذواتهم وفي موسيقى وأغاني (مارلين مانسون)، كانوا متشنجين، غرباء، لكنهم لم ينخرطوا في أي عمل عنفي. كما قال (جاسون جرير) طالب عمره 15 سنة، كانت المجموعة ترتدي ثيابًا داكنة اللون، ومعاطف غامقة، كانوا يتحدثون بكثرة عن هتلر، كانوا مغرمين بالنقاش حول كيفية قتل الناس وقطع رؤوسهم، كانوا يركزون على أغنية (مارلين مانسون)، المعروفة باسم (أنا أكره الناس)، كانوا يكرهون المدرسة وكل شيء حولهم، في حصة الإنشاء والتعبير، كانا يقرءان بصوت عال تعبيرات خاصة بالموت، كانوا يلبسون معاطف خاصة بالقتال، وأحذية برقبة تضم حول الساقين حواف البنطلونات الجينز، وكأنهم رعاة البقر الجدد، الكاوبوي نسخة، 99 في عيد ميلاد هتلر الـ110.

هناك علامات عديدة يجب التوقف عندها في مجال التحليل الحدثي والاجتماعي، النفسي والديني للمجزرة البشعة فالقاتلان اختارا بنت

معروفة بتدينها وكانت مؤخراً في رحلة إلى بريطانيا مع كنيسة المدينة قال لها (هاريس) وهو يشد شعرها ويضع فوهة المسدس على رأسها: من هو ربك؟! كان يضحك ف بلاهة وجنون: قالت مستجيرة استسمحك لا تقتلني، أرجوك، لا تقتلني؟

قال: قولي أنني ربك، إنني امسك بزمام الأمور، أنت تحت رحمتي؟!

قالت البنت: لا. أنت لست ربي. صرخ فيها قولي إنني ربك؟

رددت وأعادت على مسامعه جوابها السابق: لا، أنت لست ربي.

عندئذ كانت الإجابة زخات رصاص أردتها قتيلة. لقد مرّت الأسلحة على أيد كثيرة قبل أن تصل إلى ترسانة المقاتلين المراهقين.

إن مجتمع العنف الذي لم يمت له جندي واحد في حرب البلقان مات له خمسة عشر شاباً وبنت في ربيع عمرهم والمثير للدهشة وللحزن وللمفارقة الصعبة أن رجال الشرطة الفيدرالية كانوا من جنود فيتنام السابقين، كانوا يبكون وهم يفتشون المكان المليء بالدم وبالجثث وكأنه يردد قول عالم الاجتماع: نعم نحن لا نحسر الحروب في ميادين القتال لكن نخسرها في بيوتنا.. في داخل الأسرة الأمريكية وفي مدارسنا.

الدوافع النفسية لقاتل الـ 17 رجلاً :

- أكل أجزاء من جثثهم ومارس الجنس مع أربعة من الموتى .
- جيفري داهمر يموت على يد سجين آخر في المرحاض .
- علاقة القصة الحقيقية في نيويورك بفيلم "صمت الحملان" .

القاتل السفاح الآكل لحوم ضحاياه (جيفري داهمر) يقتل ربما بالضبط كما لقي ضحاياه الـ17 حتفهم مثله مثل شخصية (هانيبال ليكتر) الآكل لحوم البشر التي جسدها الممثل العالمي البريطاني الأصل أنتوني هوبكنز في الفيلم الذي حاز على جوائز اوسكار(صمت الحملان) .

قُتل داهمر على يد زملائه القتلة في أحد السجون (معاهد الإصلاح) في أمريكا في الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر 1994م .

لم يذكر اسم قاتل القاتل آكل لحوم البشر ، وإنما عُرف أنه ضُرب بشدة بهراوة ثقيلة ، وتُرك مضرجًا في دمائه في مرحاض السجن ، قتله أمام زملائه حتى الموت ، وكأنه ينتقم منه لبشاعة فعلته ، وليشفي غليل بعض أقارب ضحاياه السبعة عشر .

المثير للدهشة أن كل السجناء قالوا أنهم لم يروا شيئًا ، وهكذا مات داهمر البالغ من العمر 34 سنة بعد أن اعترف بقتله ضحاياه ، بل وبأكله لحومهم بعد موتهم؟ ! .

نعم . . اعترف القاتل للقاضي ولهيئة المحلفين بأنه قتل سبعة عشر رجلاً وأكل أجزاءً من أجسادهم، ولأن القانون في نيويورك لا يسمح بالإعدام، فلقد حكم على داهمر بالسجن المؤبد، من المرجح أن داهمر قد ضُرب بشدة بمطرقة، لكنه مات متأثرًا بجراح عميقة بعد أن ضُرب بهراوة ثقيلة. . هرع الحراس إليه صارخًا حيث كان مضروبًا إلى أن فقد وعيه ثم مات.

قال أحد مسئولي السجون في مركز كولومبيا للإصلاح، لقد أخذت روحه بنفس الطريقة التي أخذ بها أرواح ضحاياه، كان داهمر يعمل في مصنع للشيكولاتة في النهار وفي الليل كان يصطاد الرجال الشواذ إلى شقته في منطقة (ميلواكي) . . يخدرهم ثم يقطعهم إلى أجزاء مستخدمًا منشارًا كهربيًا.

كان يغلي الحم نازعًا إياه من العظام مختلطًا بأعضائهم التناسلية في برطمانات المربى الفارغة المجهزة خصيصًا لذلك مع قطع من لحمهم، اكتشف البوليس القاتل المجنون بعد أن نجح أحد الضحايا في الهرب وهو مقيد بالسلاسل.

كانت في الشقة خمس جثث لرجال آخرين مع بقايا نتنة لجثة سادس، أقر القاتل المجنون بأنه قد مارس الجنس مع 4 جثث، ثلاثة منهم ذابوا في حمض في الحمام؟!

كشف البحث عن إحدى عشر رأسًا إنسانيًا موزعة على أرجاء الشقة، واحدة منها كانت في (الثلاجة) وثلاثة في (الفريزر) مع قلب بشري محفوظ داخل ورق قصدير (فويل). قال داهمر للبوليس أنه كان يعد العدة لأكل ذلك القلب فيما بعد.

سبعة رؤوس غلاها في الماء حتى استوت، وبقت على العظم فقط، بينما بقت أربعة منها كما هي بلحمها وعظمها.

اعترف القاتل المهووس كذلك بأنه كان يأخذ بعض جماجم ضحاياه من السود معه إلى العمل، لأنه كان يمعن في النظر إليها أثناء تناوله الطعام، كما اعترف بأنه قد أكل عضلة لرجل بعد أن ملَّحها ووضع عليها الفلفل الأسود وصلصة الباربكيو.

اشتكى الجيران من صوت المنشار الكهربي المزعج كما واجهوه بأن ثمة رائحة كريهة تنبعث من شقته، فكانت إجابته بأن اللحوم قد فسدت في الثلاجة.

قال أحد المحققين في استغراب منقطع النظير: (لقد كان يأكل هؤلاء الذين يعجبونه فقط).

مات داهمر بعد أن حُكم عليه بالسجن مدى الحياة لثبوت اتهامه بالقتل في 16 حالة من السبعة عشر.

كان دائمًا داخل زنزانته الصندوق الزجاجي، مثلما تلك التي وضع فيها الممثل أنتوني هوبكنز في فيلمه الشهير "صمت الحملان".

قال ضابط السجن، لم يكن هناك خطر على حياته، أو على الأقل لم نُحس بذلك، لكننا اكتشفنا منذ شهور عدة بعض الأقراص الدوائية معه، ربما كان يحضر للانتحار.

بقى أن الرجل المهووس قد قال أثناء محاكمته أنه لا يريد أن يخرج حُرًا للحياة أبدًا؟! وان مسألة الحياة والموت عنده سيان، على أنه يتمنى الموت.

لكن هناك دائمًا همسة تدور في أرجاء السجن.. أن هناك من يريد أن يكون بطلاً يومًا ما، هناك من سيقتل داهمر أن عاجلاً أو لاحقًا .. هناك من يريد التتويج من السجناء الآخرين، ولقد كان...

(القاتل الجماعي) ظاهرة تتميز بها المجتمعات الغربية تحديدًا الولايات المتحدة الأميركية وهي ظاهرة غريبة ومحيرة لعلماء الجريمة والنفس خاصة أطباء النفس الجنائيين، ظاهرة مقلقة ذات طابع درامي وتحظى بتغطية إعلامية واسعة في كل الأحوال تقريبًا.

ولأن هؤلاء القتلة يمثلون بضحاياهم ويمارسون أفعالهم البشعة على مدى زمني متسع فإنهم يروعون المدن ويقضون مضاجع الناس حتى هؤلاء البعيدين نسبيًا عن مكان جرائمهم.

ومتى نجحت الشرطة في القبض على (القاتل الجماعي)، فإن ثمة طلبات قتله تتزايد يومًا بعد يوم، وهذا ما يفسر إقدام قاتل داهمر على قتله تشفيًا منه للناس، وإن كان قاتل القاتل نفسه مجرمًا فهو ليس على نفس القدر من البشاعة والكره، وهو ود أن يغفر له الناس جرائمه وإلباسه حلة البطولة.

يجب التفريق بين (القاتل الجماعي) الذي قتل مجموعة من الناس مرة واحدة مثل حالة ريتشارد سبي الذي قتل ثمانية ممرضات وهن في غرف نومهن في شيكاغو عام، 1966م أو (جيمس هيبرتي) الذي أطلق الناس على 21 إنسان في مطعم ماكدونالد وسميت وقتها (مذبحة ماكدونالد) عام 1984م في سان ياسيدرو بكاليفورنيا، وهم يختلفون عن داهمر الذي يقتل القاتل ضحاياه فرادى على فترات زمنية متتابعة مثل (بيتر ساتاكليف) سفاح يوركشاير الشهير الذي قتل 13 امرأة من إنكلترا عبر خمس سنوات ونصف، وكما سنشرح لاحقًا فلا تبدو أية فروق في الطابع النفسي لكل من الحالتين (القتل الجماعي، والمرة واحدة)..

كما يجب تحديد هؤلاء القتلة واستثنائهم من عمليات القتل الجماعي مثل الهولوكوست ومذبحة (ماي لاي)، وغيرهما من العمليات الإرهابية البشعة التي اتسم بها القرن العشرين.

نظراً لطبيعة تلك الجرائم وحساسيتها فإنها تستحوذ على اهتمام الصحافة أكثر من اهتمام المشتغلين بالقانون وبالطب النفسي في الكتابة والتحليل. وتركز مجلات مثل النيوزويك عام 1986م على البعد الإنساني وفظاعة الجرائم اكثر من محاولة الدخول إلى عالم المجرم القاتل وتحليله النفسي وتكتب التحاليل المختلفة في الجرائد والمجلات غالبًا بواسطة محررين لا أطباء أو علماء نفس أو قانونيين في أغلب الأحوال.

كتب لافن وهو من أشهر علماء الاجتماع تقريراً مطولاً ظهر في كتاب تحت عنوان (القتل الجماعي) شاركه فيه العالم (فوكس) سنة 1985م وناقش التقرير قضية الفحص النفسي للقتلة متحديًا أن يكون شاملاً نظراً لأنه لا يتم بشكل فعال إلا إذا كانت للجرائم توابع اجتماعية شاذة مريبة وغريبة تدفع إلى البحث والتقصي. ويؤكد لافن وفوكس على أنهما في تصورهما النفسي الاجتماعي للقاتل الجماعي فإنما لا يضعون ثوابت أو (أكلشيه) يمكن تطبيقه على كل الحالات سابقًا أو لاحقًا.

في وصفهما للقاتل الجماعي كما يرياه رجل أبيض في أواخر العشرينات من عمره وأحيانًا الثلاثينات وإذا كان قاتلاً جماعيًا مرة واحدة فإنه يستخدم رشاشًا أو مسدسًا سريع الطلقات بينما القاتل الجماعي واحداً في المرة، يقتل الغرباء بالضرب أو الخنق.

كما تعتمد دوافع الجريمة على الظروف المحيطة بها. وتكاد تنحصر بشكل عام في مسائل المفلوس، الغيرة، النزوة، وعلى الرغم من أن القاتل الجماعي يظهر بارداً لا يحس بالندم منكراً المسؤولية فإنه نادراً ما تظهر عليه علامات الجنون (الذهان) أو (المرض العقلي) بأي صورة.

وبمقارنته بالقاتل الفردي نجد أن إدمان الخمر والمخدرات في حالة القتل الفردي ظاهرة مهمة وأنه ينحدر غالبًا من الطبقة المتوسطة ولم يحظ بقدر كاف من التعليم، كما أن نسبة الشذوذ الجنسي في الرجال القتلة الفرديين أقل بكثير منها في هؤلاء القتلة الجماعيين.

وحين يفحص الطبيب النفساني قاتلاً جماعيًا مهووسًا فإن الحالة تكون واضحة ومباشرة ويعتمد تقريره على أساس هل كان المجرم مهووسًا مصابًا بأعراض حادة وقت ارتكابه الجريمة أم لا رغم صعوبة هذا الأمر إلا أنه بالإمكان تحديد بشبكة من الأسئلة والاختبارات المعقدة نوعًا ما، ويعتمد الفحص على اختيار الدوافع، الأفعال، والإدراك لدى القاتل، وأكثر ما يزعج في الأمر هو أن يلبس القاتل حلة الجنون من أجل تفادي العقوبة وهي مسألة يمكن حلها بالملاحظة والمتابعة المستمرة داخل السجن على مدى زمني معقول.

ويكون الحل صعبًا أيضًا فهو يتراوح ما بين العلاج داخل مستشفى خاص (أشبه بالسجن) أو بالعقاب، أما في حالة القاتل العادي ـ غير

المجنـون فـإن الأمـر يـزداد تعقيـداً وكـثير مـن هـؤلاء يقتـل ضـحاياه ليخرسهم كشهود وهم مما لا يدع مجـالاً للـشك مـضطربين للغايـة . . وهنا تكون مسألة تقديم تصور نفسي لإنسان غير مريض قتل جمعًا مـن الناس غاية في الصعوبة .

المجتمع الإنساني بـشكل عـام والغربـي الأميركـي بـشكل خـاص يفكر الآن أكثر ما يفكر في كيفية الوقاية المستقبلية ولا بـديل إلا اليقظـة والحذر والتنبيه على الآباء والمدرسين، أطباء الأطفال، وأطباء الـنفس للأطفال والمراهقين حين يلاحظون لدى الصغار أي ميول تجـاه العنـف الشديد أو القتل أن يتضافروا بجهودهم مع كـل الجهـات، ربمـا نعـم، نعم ربما من اجل وقايـة البـشرية مـن إحـدى عوامـل دمارهـا البـشعة والغريبة .

مأساة (دنبليه) :

- من هو توماس هاملتون !
- القاتل بالجملة والقاتل على مراحل
- تفاصيل الجريمة التي هزت بريطانيا .
- اعترافات سفاح الأطفال الإنجليزي . .

▪ الفرق بين الذي يقتل مجموعة مـن النـاس مـرة واحـدة وبـين مـن يقتلهم على مراحل، هو أن الأول غالبًا مـا لا يعـاني مـن مـرض

عقلي، بارداً لا يحس بالندم. . بينما الآخر غالبًا ما يكون مدمنًا على الخمر أو المخدرات. . أو كليهما.

- المشكلة الكبرى في موضوع هاملتون هو رخصة حيازة السلاح، استخدامه له والتدرب عليه؛ ومن ثم فإن قانون حيازة السلاح واستخدامه قد تغير في بريطانيا.
- يواجه المجتمع الغربي معضلة كيفية الوقاية. . وهو أمر يعتمد على القدرة على التنبؤ أو التكهن، بالمسجلين خطر، أو الذين قد يكونوا خطر في المستقبل. . وهي مسألة شاقة أن لم تكن مستحيلة، في مجتمعات مفتوحة تتمتع بقدر كبير من الحرية والديمقراطية.

في صباح الأربعاء 13 مارس 1996م روعت بريطانيا كلها، كما لم تروع من قبل، انقلبت البلدة الوادعة "دنبلين" رأسًا على عقب، زارها الشر مجسداً في صورة رجل. . أصبح الأمر الواقع كابوسًا مخيفًا يجثم على الصدور.

رجل في أواسط العمر، 43 سنة، أصلع، ممتلئ، موسوس يسكنه هاجس الأطفال والسلاح الناري، بعد التاسعة والنصف صباحًا بقليل حصد ذلك الرجل بوسواسه وهاجسه القاتل حياة 16 طفلاً (11 بنت وخمسة أولاد). ز كلهم ما بين الخامسة والسادسة من

العمر، مع مدرستهم ذات الخمسة والأربعين ربيعًا. . رفع أسلحته الأربعة في ثلاث دقائق، صوب أحدهما: مسدس نصف أوتوماتيكي 9 ميلليمتر على الأطفال بدقة وعناية (فلقد كان عضواً في نادي الرماية، وكان دقيقًا في تصويبه). .

دوّت الطلقة الأولى وأزّت، ولم ينته دويها، بل كانت الطلقة التي تليها تركب على صوتها، ويستمر الأزيز متأججًا يترامى على بعضه البعض منطلقًا نحو الصدور والرؤوس البريئة ليميتها أو يجرحها، بعض طلقات فقط لم تصب التلاميذ، وجه بعدها المسدس الآخر الشديد القوة إلى رأسه منتحراً في تراجيديا دموية بشعة.

اسمه توماس هاملتون، عاطل عن العمل، عاش وحيداً، حاول خلال خمس وعشرين سنة أن يؤسس نادي مرخصًا للكشافة، لكن السلطات لم تسمح له، كان معروفًا عنه غرابة أطواره، قيل أنه تصرف بشكل غير لائق مع الأولاد، لكن لم تكن هناك أدلة على إدانته، ومع ذلك، رخص له بحمل السلاح، وبعضوية نادي الرماية!

ذكر أحد المارة أنه تطلع ـ مرةً ـ بشيء من الفضول من خلال زجاج نوافذ شقة "هاملتون" ورأى صوراً لأطفال شبه عرايا يستحمون أأأ أ أأأأاااااااااحبيلقذ اااااااااااقث36اعمعتغفأو يسبحون. . لم تكن الصور شاذة أو خليعة، ولكن تجميعها بهذا الشكل كان يدعو إلى الحيرة والشك.

كان عمره 22 سنة حينما طرد من مجلس الكشافة المحلي، لا لشيء إلا لأنه لم يكن مناسبًا كقائد ومدرب للأولاد، وبعدها انتشر الهمس بين الناس بأن "هاملتون" شخص غير سوي، بل وشاذ جنسيًا، وأدار الرجل القاتل المنتحر معركته مع السلطات المحلية (وقبل عمليته أرسل نسخًا من رسائله إلى الملكة والبرلمان، وإلى الـ BBC والصحف).

في الكوارث يجتهد الناس في استنتاجاتهم، ويعتمد العلماء على أساليب محددة لكن بشكل عام يظل الأمر كما في حالات القتل الجماعي بنهم عصيًا على الفهم، تتداخل فيه وتخرج منه عوامل كثيرة، ونظريات متعددة. لكن السؤال الأهم: هل الرجل مختل عقليًا؟! هل هو مجنون؟! هل هو مريض؟ لا.. شأنه شأن آخرين أتوا مثل فعلته.. إنه شخص غريب الأطوار هيأته الظروف، وهيأ لها المقومات، وتهيأ لها بنفسه وعقله وجسده، بمعنى أن هناك عوامل مختلفة تشكل البنية الرئيسية، وتحفز على حدوث ما حدث، وهي مزيج من العوامل النفسية والاجتماعية والعضوية، فهو لم يرتبط بامرأة قط، ولم تكن له علاقات حميمة، وكان يسكن في شقة في منطقة متواضعة مختلفة عن تلك الفيللات الرائعة الأنيقة على التلال التي سكنها الأطفال القتلى وذويهم، وكان مهووسًا بالسلاح الناري (وعلماء النفس يرون في ذلك رمزًا تعويضيًا للعضو الجنسي الذكري

القوي القادر على الفعل، إطلاق النار، إطلاق السائل المنوي، والطريف أن البحث العلمي قد أثبت أن القتلة بشكل عام تكون نسبة الحيوانات المنوية لديهم مرتفعة جداً؟!)..

هذه العوامل المُهيئة تضافرت مع ظروف تسهل حدوث الانفعال، التحمت بخيالات عنيفة، ازدادت مع مرور الوقت.. (فانتازيا عنف دموية وعشق مرضي للدماء والقتل والسلاح)، تزامن ذلك مع انهيار في الاعتبار النفسي، وفي الثقة بالذات، وإذا اجتمع كل ذلك مع صدمات حياتية مثل عدم القدرة على الانسجام مع الآخرين، أو تحقيق مستقبل وظيفي، أو النبذ والرفض والاحتقار؛ فإنه يؤدي إلى حالة من التصدع والتشتت والشعور بالاضطهاد، من ناحية أخرى تتولد داخل المخ والنفس والذاكرة، كل الخيالات العنيفة عن القتل والانتحار، قتل النفس وقتل الآخرين، كما حدث مع توماس هاملتون، الذي مقت نفسه إلى حد الموت، مقت الآخرين لأن لديهم أطفالاً، أراد أن يأخذ هؤلاء الأطفال بعض الوقت في معسكرات الكشافة، فحُرم من ذلك، ومن ثم حرم آباءهم ومجتمعهم منهم في عرض خارق مجنون، بالمعنى المجازي للكلمة، مستبعد وغير متوقع، مشهد يثير أكبر قدر من الشحنات العنيفة، الحزينة الغاضبة المليئة بالذنب والتوتر والإحباط.

سر الانتقام!

حينما فتح توماس هاملتون النار في ذلك الصباح المشئوم لم يكن لينتقم من المؤسسة البوليسية، ولم يكن يثأر من مؤسسة الكشافة لطرده منها، أو من المدرسة لأنها حذرت الأطفال منه لكونه شخصًا غريبًا، لكنه كان ـ وبشكل عنيف جدًا ـ يعاقب الآباء في بلدة (دنبلين) . . لامهم كلهم بلا استثناء لأنهم آثروا تصديق ما أثير حوله من شبهات تتعلق بالهوس بالأطفال.

إن ملف الخطابات التي أرسلها هاملتون إلى وسائل الإعلام المختلفة يوم الثلاثاء 12 مارس 96 حدد الأشخاص والمؤسسات التي فحصت الدعاوى والشكاوى، تلك التي شكت وارتابت، ومن ثم وسمته بأنه غير لائق للعمل في مجال الجوالة مع الأولاد، ومع ذلك فعندما حان وقت الحساب، لم يحاسب هاملتون تلك المؤسسات، وإنما حاسب الأهل الآباء، كمن يمكن أن توجعه ضرباته مباشرة.

لكن لماذا قام هاملتون بهذا الهجوم الشرس على فصل كامل من الأطفال الأبرياء؟! هم في النهاية غرباء عنه؟ بدلاً من أن يصب جام غضبه على من أهانوه ونبذوه؟! تكمن الإجابة في ذلك الإحساس الغريب الذي تملكه طيلة حياته، تلك الشهوة الممتزجة بالانفعال والرغبة الجياشة.

تشير الدلائل إلى أن هاملتون كان رجلاً عنجهيًا صلفًا، وقحًا، فظًا تولدت لديه مشاعر الوله للصبية، حاجة مُلحة لأن يكون معهم دائمًا، صبية تقترب أعمارهم من البلوغ مسن المراهقة، هذا يشير إلى طفولة ومراهقة هاملتون، وما مر به من تجارب في هاتين المرحلتين، ويبدو أنه ربما تعلق بصبي، أو شاب يكبره في السن بشكل عاطفي مؤثر، ولما نضج وكبر في السن ظل تأثير تجاربه الحياتية السابقة عالقًا به، ومن هنا فإن مشاعر الحب بالترابط مع الأولاد في المراحل الأولى من حياته استمرت معه لاحقًا، لكنها تحولت إلى أولاد آخرين، وتكونت وتشكلت بحيث صارت هي القوة الأكبر التي حركت حياة هاملتون، بحيث صارت كل نشاطاته واهتماماته في الحياة تتركزحول التغذية وتقوية تلك الرغبة في أن يظل بين ومع الصبية.

سر خطاباته!

إن خطابات هاملتون لبعض الآباء في بلدة (دنبلين) أوضحت كيف صار الرجل في حاجة أكثر لهم (لأولادهم)، وأكثر.. كلما أصبح أيضًا ناقدًا لتصرفاتهم وناقمًا عليهم، كان يحلم ويتوقع منهم أن يرتفعوا فوق مستوى الشائعات، وأن يرونه فوق مستوى الشبهات، وأن يعترفوا به كبطل وقائد مضحي من أجل الأولاد.

كتب هاملتون في أغسطس عام 95 لأحد الأسر قائلاً: "إن تلك الإشاعة، وذلك الهمس ليس له أساس من الصحة، إنه عار، ولقد تم تداوله عن عمد للإساءة إليّ".

وعلى الرغم من كل توسلات هاملتون أصر الآباء في (دنبلين) على إبعاد أولادهم عنه، وبالتالي أصبح أكثر إحباطًا، وانعكس ذلك في رسالة منه إلى وزير شئون اسكتلندا شاكيًا فيها من أن عدد الأولاد في ناديه قد انحسر وصار خمسة بعد أن كان سبعين! قال الرجل: إنه ليس شاذًا جنسيًا، وأن عشقه للصبية ما هو إلا مجرد حب برئ؟! لقد كان هاملتون، وعلى مدى عشرين سنة موضع شك وشكاوى وتحقيقات، والذي لم يثبت عمليًا أنه تورط جنسيًا، لكنه كان مهتمًا بالأولاد اهتمامًا جنسيًا غير عادي، بمعنى أن حالة الوجدان والعاطفة بين رجل غريب، وصبية آخرين هي حالة غير مفهومة، وغير مفسر ولا تعني إلا أنها غير سوية بالمعنى المجازي، أي أنه استغل الصبية لإشباع رغباته النفسية الجنسية دون الحاجة إلى ممارسة جسدية جنسية معهم، ولقد كانت تلك الرغبة جامحة جارفة عنيفة عارمة إلى حد أنه مع عندما فقد موارده المادية ولاعتباره النفسي لم يتخل عن حبه للأولاد، ولم يستطع الانفصال عن "صبيانه".

في ذلك الصباح المشئوم صافح جيرانه بوجهه المبتسم في هدوء، لم يكن كما كان قلقًا بشأن انعزاله واتهامه، رفع هامته وشق طريقه إلى مدرسة دنبلين الابتدائية، كان من الممكن أن يقتحم أي فصل

دراسي، ولم يتوجه إلى صبية ربما أثاروا رغبته، لكنه توجه إلى صالة الألعاب الرياضية (الجمنزيوم)، والمكان هنا له دلالته وأهميته، فهو الذي كان يضمه وصبيته، وهو الشاهد على قيمته، وهو الذي أتاح له إرضاء شهوته وعاطفته المتأججة، وهو الذي فيه كان ما كان قبل أن يُحرم من كل ما اشتهاه، واندفع إلى أطفال ما بين الخامسة والسادسة من العمر، ولم يكن مجنونًا يصرخ يطلق النار في كل اتجاه، لكنه كان يقتل بحرفة ودقة من حضر وأعد للأمر من زمن، ولما رفع مسدسه لقتل الطفل الأول لم يحس بأية عاطفة غير الغضب، ثم حركها للطفل الثاني، وأطلق النار بسرعة، مرة أخرى وفق منهج محدد بدقة، لم ير هاملتون الأطفال بعيني بشر، كان يتخيل الحزن والأسى، الألم والحسرة في كل أسرة رفضته ونبذته في دنبلين، لقد كان متأكدًا أنهم كلهم يستحقون ذلك، كان هاملتون يرتدي سدادات للأذن تمنع عنه الصوت: الدوي والصراخ والعويل، حتى لا ينصرف إلى غير مهمته، وحتى ولو إلى درجة طفيفة يسمع فيها أنين الأطفال في حشرجة الموت.

كان هاملتون عارفًا، مخططًا، متأكدًا من أنه سينتحر فيما بعد، لقد أثبت أنه في موقع التحكم والسيطرة، لم يسمح لأحد بأن يحاصره، أو يقتله.

ربما أراد الناس أن يروا مجنونًا مختلاً عقليًا مريضًا بالاضطهاد الذي دفعه إلى تلك الفعلة الشنعاء، كان يريد بقتله الأطفال الأبرياء قتل رجال المجلس المحلي، المدرسين، رجال الشرطة، مسئولي الكشافة.

وجه ضربته إلى من آلموه جدًا (الآباء في دنبلين) أن يحرمهم ويحيل حياتهم أبد الدهر إلى عذاب، أن يأخذ أولادهم إلى الموت، معه، طالما أنهم لم يمكنوه منهم أحياء.

التحليل النفسي لقاتلة زوجها في مدينة السلام:

عروس الزهور قاتلة زوجها عادت لمسرح الجريمة الجمهورية بالصوت والصورة.. روت المتهمة لـ "الجمهورية"[1] التفاصيل ضاحكة: عادت هبة عبد الكريم زايد "21 سنة" عروس حي الزهور بمدينة السلام قاتلة زوجها طارق نجاح أحمد "24 سنة" الحاصل على ليسانس حقوق إلى مسرح جريمتها داخل مسكنهما بالعمارة رقم 1 حي الزهور وروت هي وصديقها الميكانيكي محمد عادل حسن "23 سنة" وشهرته "ميدو" قصة الجريمة.. قرر الاثنان بأنهما خططا للجريمة قبل أسبوعين من تنفيذها.. اتفقا على أن تدس لزوجها الأقراص المخدرة في كوب الشاي وتستدعي صديقها الميكانيكي الذي تربطه بها قصة حب آثمة منذ عدة سنوات ليتخلصا منه.

(1) (وضعت له المخدر في الشاي.. واستدعيت ميدو) حوار :جمال عقل.

جريمة قتل
الخائنة
الزوج لرغبته فى الزواج من أخرى
حى السلام

اعترفت المتهمة بأنها خدّرت زوجها عند منتصف ليلة الأحد الماضي وأن صديقها كان يتابعها تليفونيا حتى فقد زوجها الوعي ثم توجه إليها وقام بتكميم الزوج باللاصق الطبي وخنقه بالإيشارب ولم يتركه إلا جثة على سريره بغرفة النوم وجلسا في صالة الشقة يتعانقان فرحًا بالخلاص من الزوج ومارسا الجنس!

روى المتهمان الكثير عن علاقتهما الآثمة ولقاءاتهما المحرمة وكيفية التخطيط للجريمة وتنفيذها. . بدت الزوجة القاتلة طوال الحوار الذي استمر قرابة ساعة متماسكة مبتسمة. . تضحك وكأنها لم تفعل شيئًا الأمر الذي دفع المحرر لاستفزازها حتى يرى دموعها ولكن عند اقتراب انتهاء الحوار والحصول منها على كامل اعترافاتها. . طلبت سيجارة. . ودخنتها في لهفة. . . كانت امرأة. . صغيرة السن. . متواضعة الجمال لا يبدو عليها أنها زوجة وأم لرضيعة عمرها 9 أشهر ربما لأنها مبتسمة ضاحكة. . متفائلة دائمًا. وكان الحوار التالي بينها وبين محرر الجمهورية:

ـ من أنت؟

ـ اسمي هبة. . والدي موظف بأحد البنوك ميسور الحال. . يمتلك محلاً لبيع أجهزة الموبايل بمدينة السلام. . لي شقيقان "حسام" حاصل على ليسانس حقوق وهو زميل زوجي المرحوم وصديقه. . وهند "19 سنة" ووالدتنا ربة منزل.

ـ كيف ومتي كان زواجك من "المرحوم"؟!

ـ تزوجت "طارق" في 14 أغسطس 2003م زواجًا سريعًا.. تقدم لخطبتي وبعد حوالي شهر تم زفافنا.. لم أكن أعرفه ولم أحبه لا قبل ولا بعد الزواج لأنني كنت أحب "ميدو!!"

ـ ما هي علاقتك بـ "ميدو"؟!

ـ تعرفت على "ميدو" قبل حوالي 3 سنوات كنت أدير محل بيع الموبايلات الذي يمتلكه والدي.. كان "زبون" تبادلنا الإعجاب رغم إنه ميكانيكي يعمل في ورشة يمتلكها والده.. عشت مع "ميدو" أحلى سنوات عمري.. كنا نتقابل باستمرار.. لم أفكر في أنه ميكانيكي وأنا حاصلة على دبلوم تجارة وشهادة المعهد الدولي البريطاني للكمبيوتر.. "الحب ملهوش كبير" ولا يعرف الفوارق!! "ميدو" علمني الكثير.. أحببته بجد.. حب لا يعرف المستحيل.. في السر والعلانية أهلي وأهله كانوا يعرفون ذلك!!

ـ وماذا حدث.. ولماذا تزوجت "طارق"؟!

ـ زواجي من طارق قسمة ونصيب.. رغمًا عن أنفي عندما تقدم لخطبتي اقتنع به والدي.. وساعده بكل ما يملك من أموال وتجهيز الشقة والشبكة ليتم الزواج بسرعة، اعتبره عريس كويس وشاب طيب وهادئ.. وبعد شهر من الخطبة تم الزفاف.. لم أشعر به منذ ليلة الدخلة.. قلبي كان مشغولاً بـ "ميدو" جسدي مع

"طارق" وروحي مع "ميدو" حتى بعد زواجي لم تنقطع علاقتنا . . كنا نلتقي في السر وأحيانـًا في العلانية ففي ذات يوم تقابلنا عند خالتي في مسكنها ومارسنا الجنس سويًا، وكانت خالتي تعلم ذلك! ! قابلت ميدو بعد أسبوعين من زواجي .

ـ ما الفرق بين زوجك "طارق" وصديقك "ميدو" ؟ !

ـ الفرق كبير . . طارق تزوجته بدون أن أحبه وميدو أحببته بدون زواج . . طارق طيب وهادئ . . وميدو شقي وشهم ! !

ـ كيف فكرتما في الجريمة؟ !

ضحكت "هبة" قليلا وواصلت حوارها بلا خجل ولا حياء . . وقالت :

ـ اتفقت مع "ميدو" على أن نلتقي داخل شقتنا . . هو فكر في الخلاص من زوجي ولم أتردد . . طلب مني أن أدس له أقراصًا مخدرة في الشاي . . ونقتله ونتخلص منه .

واصلت كلامها :

ـ لم تكن فكرة تخديره جديدة فقد سبق أن خدرت والدي وسرقت من حقيبته مبلغًا من المال أعطيته لميدو، وفعلاً أحضر لي "ميدو" قرصين . . وليلة الأحد الماضي عاد زوجي من عمله في مكتب تعليمي بالزيتون وبعد تناوله وجبة العشاء سألته عما إذا كان يريد كوب شاي فطلب رغم أنه لا يحتسي الشاي بعد العشاء لكن قدره كده ! !

دخلت المطبخ لإعداد الشاي وطلبني "ميدو" على محمولي يسألني هل تم تخديره أم لا فأخبرته إنني أعد له الشاي وسوف أضع له الأقراص بداخله . . فعلاً احتسى طارق الشاي ودخل غرفة النوم وراح في نوم عميق . وعاود "ميدو" الاتصال بي وأخبرته بأن "طارق" نام . . فجاء ، كنت في انتظاره . . دخل مباشرة على غرفة النوم واطمأن أن طارق كان مخدراً . . قبلني وقام بوضع لاصق طبي على فمه حتى لا يصرخ عندما يخنقه . . لف إيشارب حول رقبته وخنقه وبعدها توجهنا إلى صالة الشقة راح يقبلني ويطمئني بأنه سوف يتخلص من الجثة . . في الصالة مارسنا الجنس ، وبعدها عاد ميدو لغرفة النوم ولف الجثة في "كوفرتة" . . وعدنا إلى الصالة ومارسنا الجنس للمرة الثانية . وبعدها غادر "ميدو" الشقة بعدما وعدني بأنه سيعود عند الليل للتخلص من الجثة بإلقائها في مكان بعيد . . وتوجهت أنا ورضيعتي إلى مسكن أسرتي .

ـ ماذا كان شعورك وزوجك جثة هامدة في عش الزوجية؟

ـ ميدو وعدني بأن كل شئ تمام وأنه سوف يتصرف في الجثة لكنه لم يتصرف حتى منتصف الليل !

ـ وماذا فعلت؟ !

ـ اتصلت بـ"ميدو" . . كان نائمًا أيقظته وسألته عن كيفية التصرف في

الجثة فأخبرني بأنه سوف يصطحب أحد أصدقائه السائقين ويتوجهان للشقة لأنه كان قد أخذ مفتاح زوجي وطلب مني الذهاب إلى الشقة . . جاء ميدو وبصحبته سائق يدعى "علي" عندما شاهد علي الجثة ملفوفة في الكوفرتة أصابته هيستريا وهرب . . وبعده نزلنا من الشقة ووعدني "ميدو" بأنه سوف يعود في المساء للتخلص منها . .

أضافت في برود أعصاب :

ـ عندما تأخر "ميدو" في التخلص من الجثة اتصلت بوالدته وأخبرتها أن ابنها قتل زوجي . . وبعدها اتصلت بشرطة النجدة وأبلغت بأنني تلقيت مكالمة من مجهول يخبرني بأنه قتل زوجي في شقتي . . جاء رجال المباحث واعترفت "على طول" . . قلت كل حاجة بلا خوف ودون تردد .

عندما وجد المحرر أنها غير متأثرة . . وتسترسل في الحديث وكأنها لم تفعل شيئًا . . لم تقتل زوجها ولم تفكر في مستقبلها سألها :

ـ ألم تفكري في مستقبلك . . ألا تعلمين أن عقوبة جريمتك الإعدام أو المؤبد؟ !

تغيرت ملامحها وسالت دموعها وهي تقول :

ـ "يا ريت بلاش إعدام علشان خاطر بنتي "نورهان" . . دي هي كل

حاجة في حياتي . . أمي وشقيقي شاهدوني في القسم ورفضوا الكلام معي " . .

التقى صحفي الجمهورية بصديقها شريكها في الجريمة، لم يضف أكثر مما قالته صديقته . . فقط حاول اتهامها بالتفكير في الجريمة والتخطيط لها، عندما سألها عن المدبر للجريمة!!

ـ قال: أحببت "هبة" . . وجدت معها كل الحب والحنان . . كانت تنفذ كل طلباتي وعندما فكرت في الزواج منها وذهبت للتقدم لخطبتها كانت ليلة زفافها على طارق . . سبقني وخطفها مني رغم أنني أحبها وهي لا تحبه .

كان "ميدو" متماسكًا . . يروي تفاصيل الجريمة ببرود أعصاب . .

سأله الصحفي :

ـ ألست نادمًا على قتلك نفسا حرم الله قتلها إلا بالحق؟!

ـ أنا الآن نادم . . لكن لحظة تنفيذ الجريمة وبعد ارتكابها لم أندم، بل كنت فرحًا مبسوطًا وأنا أمارس الجنس مع هبة وزوجها جثة على فراشه!!!

أضاف :

ـ أنا استحق أي جزاء . . حتى لو الإعدام . . لقد خسرت نفسي ومستقبلي وأهلي من أجل الحب!!

وكما نحاول أن نأخذ التاريخ الطبي النفسي للحالة فهي (بنت عادية) لكن (أبوها غصبها على الجوازة)، هذه هي بداية الشؤم والاضطراب الغضب والسخط وعدم الرضا، فممكن أن تُغصب البنت على لبس معين، على تعليم معين، على أكل، لكن على جواز؟ لا . . . . دي عشره وجنس وملاصقة وحياة.

الغضب فيها زناد يضغط عليه ليفجر بركان الغضب.

لكن السؤال الآن هل كل بنت تغضب على ذلك تقتل؟ بالطبع لا.

لكن من المؤكد أن كل بنت تُغصب على الزواج وتُكره عليه، تكره الزوج والزواج، وتسعى إلى الهروب منه. . لكن هل كل المُكرهات على الزواج يتحالفن مع عشاقهن ليقتلن أزواجهن؟ أم أن المسألة أبعد وأعمق بل وأخطر من ذلك؟!

"ميدو" العشيق الميكانيكي كانت تحبه الزوجة قبل زواجها من المجني عليه، تتردد على محله الذي يبيع كروت وإكسسوارات الموبايل، وهناك إهمال من (طارق) الزوج فلجأت الزوجة إلى شقة أبيها ثم خالتها التي لم تعترض على لقاءاتهما السرية نظير النقود والهدايا؟! وتتابعت القصة بدس الحبوب المنومة في الشاي للزوج الذي فقد الوعي. خرجت الزوجة لترضع ابنتها. عادت إلى غرفة نوم الزوجية بعدها بربع ساعة، وجدت العشيق "ميدو" يخنق زوجها

بالإيشارب، قتله، صرخت الزوجة، دخل القاتل إلى الحمام، توضأ، ثم صلى؟! واستغفر ربنا!

(ثم بكى بشدة، وجاء على صدري، ثم مارس معي الجنس كل هذا على رأس الجثة)..

تتابع (مجنون) بالمعنى (الذهاني) أي (الاضطراب العقلي الشديد رغم وضوح الخطأ من الصواب ورغم أن النية كانت مبيتة: وضوء، صلاة، استغفار للرب، بكاء، كالطفل يجيء على صدر أمه، ثم ممارسة الجنس مع العشيقة زوجة القتيل، على سريره، وهو ملقى على الأرض جثه هامدة.

مسألة مرعبه للغاية لابد من استكمال حلقاتها:

أولاً: بأن القاتل بجانب شخصيته السيكوباتية القميئة غالبًا، ما كان تحت تأثير المخدرات.

ثانيًا: تواضع مستواه الفكري والنفسي للغاية، فلا يهمه من أمور الدنيا إلاّ الفلوس، شراء اللذة المُحرمة، الترتيب والتدبير، وتلك الرغبة الجامحة الجانحة لممارسة طقوس تتعارض مع الحالة ومع الحدث.

يكون هنا العنف القذر الناعم المسحوب (تخدير ثم خنق).. وطقوس لف الجثة في الكوفرتة، وكأنه في حالاته التي تبدو طبيعية

للناس يدخل في إطار (الفانتازيا المريضة) . . وكأنه يمثل فيلمًا ويقوم بأدائه في صمت . . منتهى التناقض الذهني والوجداني والمعرفي، وكأن القتيل بالنسبة له كالدمية التي يُلهى بها . . . أو كأنه يستخرج لعبته العروسة من البني آدم حاملاً معه كل الخيالات الشاذة، المريضة والمثيرة للاشمئزاز . . وكأننا أمام فيلم رعب فظيع .

وهكذا كان (ميدو) الذي دلع نفسه وخلق من فقره النفسي عالمًا ثريًا حافلاً بالمثيرات وضعها كلها في الحدث الغريب للغاية فهو أمام لعبة ـ بني آدم ـ يسخر منه يمارس الجنس على سريره، ومع زوجته وهو فاقد الحياة مُسجى على الأرض للأبد، وكأنه يلعب، وكأنه قط شوارعي مجرم اصطاد فأرًا أنيقًا أبيض تسلّى به بعد أن قتله .

هناك من علماء النفس التحليليين وعلماء الجريمة من يقول أنه في العقل الباطن لكل بني آدم ترقد روح القاتل .

لكن أحيانًا يكون صعبًا فهم مسألة القتل في إطار الجنس ثم الوضوء، والصلاة، وكأنها التأرجح بين حالتي الملاك والشيطان، وكأنها الفانتازيا السادية (التي تستمد مُتعتها من العنف والعذاب والألم) .

لا يجب أن ننسى هنا ذلك الإحساس الاضطهادي المتكوّن والمتحوصل داخل ذات (ميدو) بعد أن تزوجت حبيبته .

وهكذا فكأن الأمر بالنسبة له ليس أن ينتقم من طارق الزوج بقدر ما يمارس طقوسًا غريبة الشأن تدل على تصدُّع الأنا، تشقق الذات وتفتتها، مما يدعو إلى تأمل علاقة الثلاثي: القاتل، المقتول، والعشيقة زوجة المقتول، والتي (كده دون خوف) نامت مع عشيقها مارست الجنس برائحة الموت على سرير المقتول وكأنها التراجيديا الإغريقية النارية تزيد تعقد النفس الإنسانية، تربكنا وتتركنا حيارى داخليًا وخارجيًا.

وربما كان هوسًا مركبًا من نوع الاضطراب النفسي الجنسي العدواني الشديد والمرتبط بالجنس الفاحش بشكل مرضي.

ما بين (أرخص الليالي وأغلاها... إدمان الجنس والموت):

عندما كتب يوسف إدريس (أرخص ليالي)، كان يتحدث عن قرى بلا كهرباء وبلا (دِش)، وعمل ينتهي بانتهاء النهار..

لقاءات ممتعة بين الأزواج فيها حميمية حقيقية.. وجنس رائع، لم يدر بخُلده أنها ستكون في الألفية الثالثة (أغلى ليالي) بمعنى ثمن الفياجرا وإرهاق العمل واستخدام الجنس كمُتنفس في ليل منهك يجئ بعد نهار ملئ بالإرهاق والإحباط للزوج وللزوجة.

يقول الخبر: قامت ربة منزل (نجوى أ. ع) بقتل زوجها بسبب

شجارهما ولاعتياده على ممارسة (حقوقه الشرعية؟ . ؟) في الأيام الأخيرة بشكل يومي، لتناوله منشطات، مما أرهقها جسديًا، فاضطرت إلى طعنه بسكين بعد رفضها لمعاشرته ولضربه لها بشكل جنوني[2] . أدمن الزوج الفياجرا، أصر على معاشرتها جنسيًا بعد الانتهاء من عمله وعودته في منتصف الليل . بعد استسلامها للنوم بعد عناء يوم شاق في خدمة بيتها وأولادها . ازدادت رغبته في (ممارسة الجنس) على خلاف ما اعتاد عليه في السنوات العشر الماضية منذ زواجهما، اعتاد الحصول على (حقوقه) ونزواته بوحشية وحيوانية لم تطق ممارستها .

عاد الزوج، أيقظ زوجته لإعداد الطعام أثناء استحمامه، وعند خروجه حاول أن ينال منها لكنها نهرته بشده فاعتدى عليها وحاول اغتصابها، تعالت صرخاتها حاول كتم أنفاسها (خشية استيقاظ الجيران)، ثم انهال عليها ضربًا، أسرعت نحو المطبخ وأحضرت سكينًا وقامت بطعنه عدة مرات حتى مات ثم قامت بسحب جثته وألقت بها أمام المنزل (حيث تقطن بالطابق الأرضي) .

تلقت مديرية أمن الغربية بلاغًا بالعثور على جثة محمد قناوي (45 سنة)، وألقت القبض على الزوجة .

---

(2) محمد الغبيري ـ 12/ 7/ 2004م .

لنا أن نتأمل الخبر الحادث بشكل تحليلي فهذا (الشجار الدائم)، و(عمل الزوج حتى منتصف الليل)، وكذلك(عمل الزوجة في خدمة البيت والأولاد طول النهار)، إجهاد مستمر لدى الزوجين، فقدان للوقت والحب والعشرة.

وحياة جنسية عادية لمدة عشر سنوات زواج؛ ثم فجأة لجأ الزوج إلى (الفياجرا)، ربما لبث الثقة في نفسه، وربما للتسلية، ربما لثقافة روّجها له زملائه، وربما للتمكن من ممارسة يومية غالبًا (دون متعة) لكن لتفريغ الإجهاد هناك تناقض شديد بين ضياع الوقت وتمزقه وحالة (الشجار الدائم)، هل هي حقوق الزوج فعلاً؟! وأين هي حقوق الزوجة، وما هو معنى الحقوق الزوجية (أليست للطرفين سويًا؟)...

العنف المنزلي، هو يأتي بعد منتصف الليل حتمًا مجهداً ربما مثقلاً بالهموم. يوقظها من نومها (دون أي مراعاة لحقها في الخلود إلى الراحة).. يضربها ويكتم أنفاسها لتفادي الفضيحة: عنف جسدي وجنسي ينتهي بها إلى قتله تخلصًا من آلامها ولضعفها تجاه تحولاته النفسية ورغبته الاصطناعية.

الفياجرا عقار مُهم عالج حالات كثيرة، لكنه يتحول إلى عقار خطر في أيدي من يستخدمونه لإثبات الفحولة وإلى إطالة مدة المعاشرة دون أي مراعاة للطرف الآخر.

والفياجرا يمكن الإدمان عليه لسببين: أن الرجال الذين تعودوا على استخدامه باستمرار (يوميًا) مثلاً قد رغبوا مسألة البحث عن المتعة في الحبة الزرقاء، وأن الحياة الجنسية بدون العقار قد تصبح سخيفة وعادية (مثل حلاقة الذقن حسب قول أحدهم). مع بعض الرجال يصبح أداءهم الجنسي مرتبطاً بالفياجرا وينخفض مستوى الأداء مع مرور الوقت ويرتبط به ارتباطاً شرطيًا وعضويًا فيحتاج إلى زيادة الجرعة وقد لا يتمكن من الانتصاب إلا بعد ابتلاع حبّه.

وقد تكون المسألة نفسية بحته اعتقاداً من مدمن الفياجرا أنه سيفشل بدونها فيتفادى عدم أخذها ولا يرغب بل يخشى ممارسة الجنس بدونها.

العيادة النفسية الجنسية مليئة بالحالات التي يمكن أن نطلق عليها (الإدمان الجنسي) أو (إدمان الجنس)، فرجل متزوج وله من الأولاد ثلاثة يمارس العادة السرية بعد معاشرة امرأته، ثم ينطلق عبر الإنترنت ليمارسها مرة أخرى مع المواقع الإباحية، ولا يتوانى عن البحث عن (صديقة) يشبع معها رغبته (سطحيًا) دون التورط في زواج أو غيره.

وآخر تركته زوجته لإصراره على الممارسة يوميًا بشكل عشوائي يفتقد إلى التواصل والحميمية، ثم يتزوج من أخرى جميلة ومحترمة، يجد نفسه خائفاً يهمهم (أشعر بفقداني لحياتي)، (بدأت أخرف وبدل ما أقيم علاقة واحدة خارج الزواج أقمت ثلاثة، وأحادث رابعة حديثًا جنسيًا فجًا عبر التليفون.

إدمان الجنس مازال تشخيصًا حذراً يحتاج إلى دقة لكن هل يمكن الإدمان ـ حقًا ـ على الجنس، فالجنس يبدأ من المخ من الخيالات والتصورات، الرغبات والأماني، وغالبًا ما يكون هناك استعداد بيولوجي للإفراط في الممارسة الجنسية وإدمانها وهنا يجب التفريق بين التعبير الإنجليزي: (ممارسة الحب Making Love)، وبين (ممارسة الجنس Having Sex)، ويقولون لا حب حقيقي بدون جنس لكن من الممكن التعاطي مع الجنس بدون حب.

ومما لاشك فيه أن السلوك الجنسي قد يصبح نوعًا من الوسواس القهري، بمعنى (سلوك جنسي يتخذ شكل الوسواس الذي يقهر صاحبه ويتمكن منه فيصبح عبداً له)، ويعتقد أن الحافز لهذا السلوك (عصبي)، فعندما نُثار يتدفق (الأدرينالين) ويرتفع مستوى (الإندروفين) ـ هرمون البهجة والنشوة والمتعة) في الدم.

كما يتحول مادة الدوبامين إلى حافز فكري أساسي مما يؤدي إلى زيادة وطفرة في مادة (السيروتونين). المادة الأساسية للمزاج، والمفتقدة في معظم حالات الاكتئاب. الإنسان (العادي) يمكنه التحكم في رغباته لكن (الموسوس جنسيًا) لا يتمكن من ذلك فيثار بسرعة وبشدة ولا نستطيع التفكير في أي شيء إلاّ إشباع رغبته الجنسية.

الرجل الصحيح نفسيًا يكون هدفه (المتعة الجنسية) بينما (مدمن الجنس) يكون هدفه القهري هو أن يظل مثاراً لأطول مدة من أجل تفادي أي انهيار نفسي، كيميائي أو معنوي.

التعريف العلمي للإدمان على الجنس؟

تلك الحالة التي يفرغ الناس فيها أحاسيسهم ويتعاملون مع (الإجهاد العصبي) ـ مثل حالة القتيل محمد قناوي ـ بالراحة الجنسية المفتعلة وكأنه يتناول مهدئًا أو يمارس السباحة مثلاً.

هنا يصبح الجنس أهم أن لم يكن العنصر الأوحد لتفريغ الإجهاد والتوتر وحلّ مشاكلهما.

وغالبًا أن المدمن على الجنس لا يتمكن من التوقف عن عاداته بمفرده، وهو كذلك يقضي وقتًا طويلاً في خيالاته وسلوكياته ذات الطابع الجنسي.

لكن لماذا يصبح البعض مدمنًا على الجنس؟

بالطبع تختلف كل حالة باختلاف صاحبها، لكن هناك أسباب بيولوجية تحدثنا عنها سابقًا (بمعنى الاستعداد الكيميائي العصبي المتعلق بمراكز الشهوة)، بمعنى أن الجسم مستقبلاً (للإنكافيلينات **Enkephalins**): كيميائيات المخ مبدئيًا من خلال تعزيز (حالة التخيل) المرتبطة بعملية القذف المسئولة عن إفراز تلك المواد في المخ.

سيكولوجيًا فإن الحاجة إلى الهروب (جسديًا)، (انفعاليًا) أو بسوء استخدام الجنس الطبيعي مثل إدمان المخدرات فالبحث عن (المخدر) يوازي البحث عن (الجنس).

لكن ما هو الفرق بين ارتفاع معدل الطاقة الجنسية عن الطبيعي وبين الإدمان الجنسي؟

الإنسان (رجلاً كان أم امرأة) قد يولد بطاقة جنس عالية يشبعون من الجنس لكن المدمن عليه لا، فالإدمان على الجنس حالة من الهوس تسيطر على (المدمن) ولا يتمكن منها فكاكًا ولا يقبل أن ترفضه زوجته إطلاقًا تحت أي دعوى، مثل الحالة التي شرحناها في بداية الدراسة، أما أغرب الحالات فهي تلك التي يدمن فيها (العازب) على الجنس (دون نساء)، بمعنى فقدانه لشهيته الجنسية الحقيقية، فيستبدل الممارسة الجنسية بعالم من الخيال (جنس مُتخيل مع أخريات شهيرات أو مفترضات).

ما هو شكل حياة الزوجة مع زوجها الذي أصبح مدمنًا جنسيًا عادة تكون عذابًا وإرهاقًا وشكلاً ميكانيكيًا للعلاقة الحميمة، يشوبها إحساس شديد بالوحدة (حتى وهي وسط الآخرين)، لا تتمكن من إخبار أي أحد (فالموضوع حساس وجارح) لهذا فجأة يمكن أن تنفجر وتسحب السكين وتقتل وترمي بالجثة إلى عرض الشارع!!

يتملكها شعور غريب باليأس وعدم القدرة على التأقلم مع الواقع المعاش في حياة محورها (الغضب).

تحكي إحدى النسوة أن زوجها في البداية عانى من بعض الضعف،

فغالبًا خاف ولجأ إلى (الفياجرا)، أصبح يمارس معها الجنس كل ليلة لأكثر من مرة حتى صارت تبكي وتنزف . . كان أيضًا يوقظها من نومها ليمارس نشاطه الليلي؛ فصارت له جسدًا بدون روح وأخيراً انفصلت هربت إلى بيت أبيها طالبة الطلاق. الزوجة في مثل تلك الحالات تفقد قوتها وقيمتها وتكون تحت رحمة الزوج المدمن جنسيًا وتحت سيطرته.

الإدمان على الجنس مشكلة قديمة تاريخيًا وضحت صورتها منذ حوالي (30 سنة) فقط واتخذت شكلاً علميًا أكبر في أواخر السبعينات، عندما بدأ باتريك كارنر الباحث الأمريكي دراساته وهو يقول (على عكس الاستمتاع بالجنس كمصدر للمتعة الجسدية فإن مدمن الجنس يعتمد على الجنس ليرتاح من ألم، ومن توتر وإجهاد ومن خلال بحث على (1500) مدمن جنسي في الولايات المتحدة وجد كارنر حوالي (8٪) من الرجال في أمريكا كانوا مدمنين جنسيًا في مقابل (3٪) للنساء). (بمعنى أن 15 مليون امرأة ورجل يعانون من تلك المشكلة).

فهل نحتاج إلى بحث مصري يتعمق في قضايا العنف والجنس؟! هل نحتاج إلى ترشيد استخدام المنشطات الجنسية، هل نحتاج إلى توعية أكثر بالمشكلة والقضايا الأخرى التي تغلفها. وهل نحتاج إلى وقفة مع

الثقافة الشعبية ومحلات العطارة والمفاهيم المغلوطة . . نعم بلا أدنى شك!

قتل الأزواج... لماذا؟!

مما لاشك فيه أننا أمام ظاهرة مُقلقة ليس هناك داع للتخفيف منها أو إهمالها تحت دعوى أنها ظاهرة، وأيضًا لا داعي للاستخفاف بها عن طريق المداعبة والتنكيت ولا داعي أيضًا للتضخيم منها حتى لا ينتشر الذعر بيننا، ثم نصرح بانتا مجتمع عنيف وعلى الأزواج أن يحملوا مسدساتهم تحت وسائدهم وأن يُخفوا السواطير وأخبار القتل عن عيون زوجاتهم، ولا داعي أيضًا لأن نلوي ذراع هذه الأحداث؛ فنسقط عليها الأساطير مثل إيزيس وغيرها فتصبح مادة غير مقبولة لحوار غير منطقي.

علينا أن نحدد المسألة وأن نرى أنها ظاهرة تطفو وتختفي على سطح هذا المجتمع الساخن، لأن التاريخ يعلمنا أن أحداثًا مشابهة قد حدثت في أوقات متفاوتة لكن تفاعلات المجتمع والرأي العام وأجهزته بكل منها اختلف باختلاف العصر والشكل الاقتصادي والسياسي، والنفسي والاجتماعي لمجموع الناس في كافة أرجاء الوطن.

يجب أيضًا الحذر من الإفراط في الحديث عن المشكلة حتى لا نبدو

أمام قرائنا في الدول الأخرى خارج مصر وكأننا شعب معظم زوجاته قاتلات كما ساهمت من قبل أفلام الفيديو والسينما الرخيصة في إظهارنا بشكل مستخف راقص وأحيانًا مبتذل وهي أشياء حساسة ودقيقة يدركها بعمق العاملون والعاملات خارج الوطن المصري والمحبون له دومًا والعاشقون لصورته النزيهة دائمًا.

وإذا جاز لنا أن ننظر إلى المجتمع البريطاني لرأينا انه في بداية الثمانينات اهتمت الصحافة بالطبع بعد اهتمام الشرطة بظاهرة "انتهاك الأطفال" من قبل الكبار ولأن الاهتمام صار واضحًا على شاشة التليفزيون وفي كل الصحف تقريبًا فان ثمة وعيًا بالمشكلة نما وتحدد وبدأ الناس يبلغون عن كل الحالات دون خوف ودون خجل وبرزت للعامة صور مأساوية، وتورط في الاعتداء والانتهاك رجال من الكبار وظيفة ومقامًا لا نخجل أن نقول أن منهم أطباء ومحامين فأخذت المشكلة حيزها من النقاش وانتهت وتلتها مشكلات اجتماعية أخرى. إذن فهي النفس الإنسانية في ارتباطها الوثيق بالمجتمع حولها بتغيره بسرعة تكوينه بتحولاته، وهي المرأة المجروحة القاتلة المنتحرة المكتئبة النادمة الباكية وهي المرأة المحبة (لأن الكاره لا يقتل) وهي بنت مجتمعها وأسرتها، وما تقوم به ليس نتاج ما يتفاعل في رأسها أو جسدها فحسب، إنه استخلاص المدرسة والشارع والتقاليد كذلك، انه الجذور المسئولة عن النبت والساق والأوراق والثمار والزهور،

وهي المرأة أيضًا كما تدلنا الأبحاث العلمية أكثر عرضة للإصابة بالمرض النفسي أكثر شفافية أكثر رقة وأكثر عنفًا حينما تحتدم الأمور؛ فإذا حللنا باختصار حالة الهرم لوجدنا أن التسلسل الزمني (الكرونولوجي) للتاريخ الحياتي الأسري يدلنا على نمو مادي أدى إلى تحسن معيشي وثراء محدود نعم به الزوج أساسًا كادت تكون ثمرته الارتباط بزوجة أصغر وعدم الالتفات إلى الأم التي ربت خمسة فتقدمت في السن ناهيك عن أهم الأمور وهي الهجر الزواجي والرفض والنبذ وعدم الاحترام والطلاق العاطفي يقابل كل هذا في حالة الإسكندرية استغلال نفسي ومادي قاس ومتورط ومتبجح وغير عابئ بأبسط المشاعر الإنسانية وهكذا فان المادة والتواصل تسببا سلبًا وإيجابا في دفع المرأة إلى الانتحار بقتل من تحب وهو قتل ممتد للنفس لأن القاتل هنا غير القاتل السيكوباتي مضطرب الشخصية الذي يقتل للسرقة أو للمتعة أو لأي غرض آخر دون إحساس بالذنب أو الندم.

نعود إلى المرأة القاتلة ونود أن نوضح أن ما ذكراه ليس دفاعًا عنها بقدر ما هو دفاع عن الأسرة وعن الرجل وعن الأولاد وعن المجتمع من اجل مستقبل أفضل وليس مثيرًا للضحك أن يقول أحد الأزواج بعد تلك الحوادث انه قد حسن من معاملته لزوجته جداً، لسنا بحاجة لأن نقرأ أخبار قتل الزوجات للأزواج حتى نحسن من علاقاتنا ببعض ككل كزوجين، كرفقاء عمل، كجيران، كأصدقاء حقًا تطحنها

ظروف الحياة وتقسو علينا لكننا لا يجب أن نسمح أن تقتل فينا الأشياء الحلوة قبل أن تقتلنا، لنا أن نكون طموحين دون جشع أن نكون محبين دون إفراط، أن نعمل ونعرق ونكد دون أن نهمل بيتنا وأسرتنا وفلذات أكبادنا، فلا خوف ولا فزع بل حرص وبحث عن الإنسان داخلنا عن القيمة لا المادة عن القناعة والبساطة والاستمتاع بما هو متاح عن التواصل لا الجفاء وعن الشفافية والسمو لا التوحش والتدني تحت وطأة كل ما هو ضاغط ومرهق ومستفز.